(5) صلاة تلاميذ يسوع

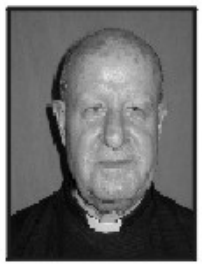

الأب ألبير أبونا

في عدد سابق من مجلة " نجم المشرق "، في نطاق سلسلة من مقالات في الصلاة، تكلمت عن " صلاة يسوع "، وقلت إن يسوع معلم الصلاة، بل نموذجها ومحورها. في هذا المقال أريد ان أتناول " صلاة تلاميذ يسوع ".

لقاء وشوق

في يسوع، يبلغ شوق الانسان إلى ملئه، إذ فيه يلتقي الانسان الله. ومن الآن يجب ان يشغل يسوع المكان الأول في صلاة كل معتمذٍ انضمّ إلى المسيح. لأن اللاهوت اللامتناهي ينكشف في ناسوت المسيح. وأنا الذي تلقيتُ المسيح بالإيمان، لا يحق لي من بعد ان استسلم إلى الراحة والخمول. ونحن الآن في زمان الكنيسة، وتبتدئ على الأرض صلاة الكنيسة التي هي صلاة الانتظار والشوق والإستعداد، الصلاة التي يجب على تلميذ المسيح ان يكون فيها ساهرًا ويقِظًا في إيمانه.

صلاة أعمال الرسل

ما الجديد في الصلاة المسيحية ؟ أليست إستمرارًا لصلاة العهد القديم، ونوعًا من تواصل الصلاة في ديانات البشرية القديمة ؟ لمعرفة ذلك، علينا ان ننظر كيف صلّى المسيحيون الأوائل الذين آمنوا بالمسيح وساروا على خطاه. انها صلاة في بدء تكوينها ونموّها.

العلّية

تظهر الصلاة مثل نشاط أساسي تقوم به الجماعة المسيحية الأولى (راجع أعمال الرسل 14/1). إنها صلاة تتميّز بالإجماع والمثابرة. فنحن نلقى الكنيسة الناشئة عاكفةً على الصلاة في

كل حادثة مهمة، ولا سيّما إبان الأزمات والإضطهادات. وروح يسوع هو الذي يُحيي الكنيسة ويقودها... إنها صلاة مقبولة وتلقائية، فيها صيغ تقليدية مستمَدّة من صلوات العهد القديم، ولا سيّما من المزامير، وفيها أيضًا تعابير تلقائية توحيها ظروف الحياة الواقعية وهي تتدفق من القلب (راجع أع 2/13).

حضور الرب

ويخيّم حضور الرب يسوع على صلاة هؤلاء المؤمنين. إنه حضور في الروح القدس، وحضور يرتكز على تبادل المحبة وتشابه القلوب، وحضور لا يوقفه الموت ولا الفراق المادي، مهما طال أمَدُه. إنه حضور حياة المسيح التي تسري فيهم بالروح القدس، وتجعلهم حاضرين، بعضهم لبعض، من الداخل حضورًا لا يستطيع العالم أن يقضي عليه. وهذا الحضور في الإيمان الذي تُنعشه المحبة الصادقة هو أساس صلاة تلاميذ المسيح. فيسوع الذي فيه يحيون ومعه يصلّون هو حاضر لهم، وهو في الوقت نفسه غائب عن أنظارهم. إنهم على يقين من حضوره الدائم معهم. ولكنهم مع ذلك ينتظرون عودته بشوق ولهفة.

ميّزات هذه الصلاة

إن الصلاة المسيحية تنمو في بيئة سرية (أو أسرارية) وأخوية وكنسية – أعني رسولية. وهذه الأوجه الثلاثة توجَد متناسقة في كل صلاة حقيقية :

سرّية (أسرارية)

إن الصلاة التي تضمُّنا إلى يسوع، وعن طريقه إلى الآب، غير منفصلة عن الأفخارستيا التي أعطاها إيانا، وعن الأسرار الأخرى التي تتيح لنا الاشتراك في سرّه. وعلى المسيحي ان يشعر وان يكون واعيًا بالإرتباط الوثيق بين الصلاة والأسرار. وفي هذه الصلاة يعايش المسيحي المسيرة التي فيها يقوده المسيح إلى الاتحاد به. وإذ يصبح المسيحي جسدًا واحدًا مع المسيح ومع إخوته البشر، يؤدي المجد لله في المحبة في هذا الجسد نفسه حيث يجري تبادل المحبة الذي إليه تصبو كل حياة مسيحية أصيلة.

أخوية

تصبح الصلاة المسيحية خالية من المعنى بدون الشركة الأخوية. إن الشركة في جسد المسيح والشركة الأخوية هما غير منفصلتين. فالأفخارستيا تواصل في المسيحيين شهادة المحبة التي قدّمها المسيح بحياته وموته. ونحن في الصلاة نعيش في هذا التأثير المتبادَل بين السر والشركة الأخوية.

رسولية

لا استطيع أن أجد جسد المسيح وأن التقي يسوع في أخي، ما لم أعش في الوحدة مع الذين سمعوه ورأوه وتأملوه ولمسوه. فلكي تصبح صلاتي صلاة المسيح، عليَّ ان أقبل في الإيمان شهادة اولئك الذين اختارهم ليعيشوا معه ويصبحوا له شهودًا. فصلاة يسوع والصلاة في يسوع لا يمكن ان تنفصل عن صلاة الكنيسة وصلاة البشر. إنها مفتوحة وهي تربط بين العالم والسر، وبدونها يضحي السر صيغة لا معنى لها، أو يصبح العالم مطلقًا مقدسًا. وحضور يسوع هو الذي يحقّق وحدة الصلاة، بروحه الحي في قلوبنا. فهي إذًا ليست صلاة التهرّب أو الإنطواء على الذات، ولا هي صلاة نشطة

موجّهة إلى بنـــاء العالم، بل هي، على خطى يسوع الخادم، خدمة الله والبشـــر في المحبة. وبهذه الصلاة، يتعلم الانسان مع يســـوع، ان يصلّـــي في كل مكان، وان يدخل من خـــلال كل شـــيء إلى الصلة مع الآب، بتكميل مشيئته في كل شيء. ومن شأن هذه الصلاة ان تمارس جاذبيتهـــا على كل البشـــر، بواســـطة ما يتدفّق منها من الصلاح والجُودة.

عبر الأجيال

إن الصـــلاة تتجلّـــى فـــي حيـــاة الأشخاص والشـــعوب من خلال مختلف التعابيـــر والخبـــرات. إنهـــا مجازفـــة يخوضها الإنسان في فترات حياته كلها. أجل، عليه ان يحيا، في ظروف حياتـــه الشخصية وخلال علاقاتـــه اليومية، مع هذه الاعجوبة التي انجلت أمامه. وجميع المحاولات التي يبذلها البشـــر، بحســـب ثقافاتهم وبيئاتهم، إنما هي تقارب جزئي من الصلاة الكلية الكاملة في يسوع.

وســـرعان ما ظهرت انواع مختلفة من الصلاة في حضن الكنيسة الناشئة، خلال الأجيـــال الطويلة التي مرّت بها إلينا. إلاّ أنه يترتب علينـــا ان نجعـــل صلاتنـــا إنطلاقاً مما نحـــن عليه ومن العالم الذي نعيش فيه. فاليوم، لا يمكن ان تكتفي الصلاة بالعواطف الحسنة، أو بأشـــواق تقيّـــة، أو بصيغ مكـــرّرة أو بصياغة أفكار ســـامية. عليها ان تكون واقعيـــة وأصيلة، وان تعبّـــر حقاً عن كياننا، وان تتفق مع متطلبات الحقيقـــة مع ذاتنا. إلاّ أن هذه الصلاة لن تكون إنعزالية وفرديـــة. ذلك لأن المســـيحي يشعر بكونه متضامناً مع البشرية كلها، حتى مع النـــاس الذين لا يشـــاطروننا إيماننا، ولكنهـــم يعيشـــون ويتألمـــون ويبحثـــون...، ربما عمّن إلتقيتنـــاه نحن لحسن حظنا.

وتدفعنا صلاتُنا إلى ان نجد في الله ليس موضوع تأملنا وســـجودنا فحسب، بـــل ذاك الذي يظهـــر لنا محبتَـــه، إذ يخلقنـــا ويريـــد ان يُشـــركنا في عمله المبدع. ترمي الصـــلاة إلى التغلغل في النشـــاط الإنســـاني كله، والدخول إلى مطاوي الفكر والعمل، وإلى العلاقـــات الإنسانية، فيتســـنّى لها هكذا ان تندفع من اعماقنا وحقيقتنا، وتعبّر عن أماني

عصرنا تعبيرًا صادقًا.

قد تكـون لنا الصيـغ الجديدة التي نراها للصلاة في عالم اليوم دعوة لنـا أو حافزًا على إعـادة النظر في حيـاة الصلاة عندنا، وإلى تطهيرها وتوسيعها، بدون ان نوجّه الإنتقـاد إلى كل صيغة جديدة أو غريبة لم نألفها نحـن. ولنعلم أن اللقاء المرغوب في صلاتنا سيجري ما وراء ذاتنا وما وراء صيغنا. وفـي هذا اللقاء، تتصل صلاتنا بجميع البشـر من كل الأعـراق والأزمـان. وهكـذا ستكون صلاتنا اليوم شاملة.

الكنيسة والصلاة

الصلاة المشتركة

إن اول خدمـة تؤديهـا الجماعـة المسيحية لأعضائها هي أن توقظ فيهم معنى الصلاة. إنها لعلامة معزّيـة ان نلاحظ أن الروح القدس في عمل دائم في عالمنـا الحاضر، بالمبادرات التي تصدر عن جماعـات مسـيحية تطالب بالعودة إلى المزيـد من روح الصلاة المشـتركة. وعلى صلاتنا ان تصبـح اليوم صلاة المجيء وصلاة انتظار ذاك الذي سـيملأ ظهـورهُ قلبَ الانسـان. وهذه الصلاة تتفتح من ذاتها على أبعاد العالم كله.

صلاة الرسول

كثيرًا ما يزداد العمل عند الرسـول المسيحي ويشـغل القسـم الأكبـر من حياته، على حسـاب حياة الصلاة عنده. وغالبًا ما يتذرّع الرسول بأن العمل هو ذاته صلاة. وقد يكـون إذ ذاك ضحية ما نسميه " هرطقة العمل ". فحذارِ من هذا الفخّ الخطِر!

يحتاج الرسـول إلى الصـلاة أولاً لتطهيـر نوعيـة عملـه. لأن العمـل المفصول عن الصلاة سيؤدي بالرسول شيئًا فشـيئًا إلى الانغلاق على ذاته في عالم يعتقده الوحيـد، ومن هذا العالـم يُصدر أحكامَه الجائـرة على الآخرين الذين ليسـوا مـن عالمـه. فالصـلاة الحقيقية ضروريـة لكي تعلّمه ألا يدين الآخرين، وان يعيش في السلام وسـط الاختلافـات والمعاكسـات، وأن يـدع المجـال للمحبـة بأن تغمـره وتغمر الآخرين وتغطّي عيوبهم : المحبة تستر كثرة الخطايا !

إلا أن صلاة الرسول لن تكون على غرار صلاة الراهب، بل تكون أكثر حرية وتنوّعًا، بحسب نهج حياته. وعليها ان تنمو داخل عمله وفي لقاءاته. إذ ذاك لن تجزّئه صلاتُه، لأنها تكون نابعة من تدفّق الروح فيه. وهذه الصلاة الساهرة دومًا، والتي هي حضور الله في صميم العمل، تفتح للرسول ينبوع رحمة شاملة، لأنها اشتراكٌ في محبة الله للبشر. لذا فهي تمنعه من إصدار الأحكام على الذين ليسوا مثله أو الذين يتجاهلون عملَه أو يعاكسونه. إنها صلاة منفتحة تجعله يصلّي لكي يخلّص جميع البشر، وتمنعه من أن يحلم بأعمال ليست من صميم رسالته، بل ان يندفع برغبة شديدة إلى القيام بعمله مهما كان بسيطًا ومتواضعًا. وهذه الصلاة تحقق الوحدة في حياة الرسول، وتوليه الحرية والانفتاح في المحبة. إنها تجعله في احتكاك مع الرحمة الإلهية التي يشعر بمفاعيلها في نفسه، والتي يتيح لها ان تجري نحو الآخرين، كل الآخرين. فهو يكتشف الله في كل مكان، حتى وإن عاش في جحيم أرضي. ولا يحكم على أحد، لأن صلاته العميقة تعلّمه انه هو الوحيد الذي يستحق كل الحكم، ولكنه مع ذلك يجد الخلاص مع الجميع في المسيح الذي نزل معنا إلى أسافل الجحيم.

وللكنيسة كلمتها في الصلاة، لأنها مكلّفة بالحفظ على اسم يسوع على الأرض في كل أبعاده البشرية والإلهية. وواجبها أيضًا ان تحفظ في الوحدة جميع العناصر المكوِّنة للإيمان بيسوع : الصلاة، الأسرار، كلام الله، خدمة الآخرين، التقليد الرسولي...، وعليها ان تساعد المسيحي لتمييز الروح فيه. إذ لا يجد المسيحي الحماسة للصلاة إلاّ إذا اكتشف من جديد وجهَ يسوع، ورضي بأن يدعه يحيا فيه سر المحبة والخدمة، بدلاً من انشغاله بالتحاليل والانتقادات العقيمة.

ولا مجال آخر للتقدّم إلاّ بسماع صوت يسوع. فإن دروب الصلاة، مثل دروب خدمة الآخرين، تُجتاز بالاكتشاف الوحيد والشخصي ليسوع الذي تبقى الكنيسة له العلامة والعروس في هذا العالم.